مقامة في ...

الدو...

ظهير ...

« من أ...

ع...

كوركيس عو...

أصدرته وزارة الارشاد في مناسبة احتفالات بغداد والكندي *

المشمولة برعاية سيادة الزعيم الامين

عبدالكريم قاسم

رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٩٦٢

مقامة في قواعد بغداد
في
الدولة العباسية

أنشاها

ظهير الدين الكازروني

« من أهل المئة السابعة للهجرة »

عني بتحقيقها ونشرها

كوركيس عواد و ميخائيل عواد

أصدرته وزارة الارشاد في مناسبة احتفالات بغداد والكندي

المشمولة برعاية سيادة الزعيم الامين

عبدالكريم قاسـم

رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة

مطبعة الارشاد ـ بغداد

١٩٦٢

مقدمة الناشرين

تمهيـــد

في خزانة كتب « فاتح » بجامع السليمانية في استانبول ، مجموع خطّي نفيس كبير ، برقم ٥٤١١[١] ، كُتب بخطوط مختلفة وأزمنة متفاوتة ، يرقى بعضها الى المئة السابعة للهجرة . ولعلّ تلك الاعلاق كانت متفرّقة متبعثرة ، حتى عمد بعضهم ، في زمنٍ مجهولٍ لدينا ، الى جمع شملها بين دفتي هذا المجلد .

وفي ما يأتي ثبتٌ بأجلّ ما ينطوي عليه هذا المجموع من كتب ورسائل ونبذ[٢] :

١ ــ كتاب مفرّج النفس : لشرف الدين أبي نصر محمد بن عمر بن أبي الفتوح البغداديّ ثمّ الماردينى المعروف بابن المراه . تاريخ النسخة ٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م (الورقة ١ ــ ٣٣) .

٢ ــ مقامة أنشأها ظهير الدين أبو الحسن علي بن محمد الكازروني في قواعد بغداد في الدولة العباسية (الورقة ٣٥ ــ ٤٦) .

٣ ــ صفة عمل الجبن المقلوّ وغير ذلك (تتمة الورقة ٤٦) .

٤ ــ رسالة في تفسير قول النبي : تفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة (الورقة ٨٩ ــ ٩٧ أ) .

٥ ــ نبذة من تذكرة الكحّالين (الورقة ٩٧) .

٦ ــ فصْل في معرفة صوم النصارى (الورقة ١٠٣ ــ ١٠٥) .

(١) صوّر بعضه بالمكروفلم ، صديقنا الاستاذ يوسف مسكوني ، وقد تفضل باطلاعنا على ما صوّر ، فاذا به ينتهي عند الورقة ١٧٢ من المخطوط .

(٢) لم يُشر مؤلف فهرست خزانة فاتح ، حين ذكر هذا المجموع ، الا الى ثلاث رسائل منه . وهي ذوات الارقام ١ و٦ و٨ ، وأغفل ذكر الباقي .

٧ - مِن كلام ما شاء الله (الورقة ١٠٥ ب) •

٨ - دلائل الشهور الرومية والعربية : جمع الحسن بن البهلول الكاتب النصراني • تاريخ النسخة ٦٧٩ هـ = ١٢٨٠ م (الورقة ١١٣ - ١٣٧ أ) •

٩ - من كتاب المواليد : لابن أبي الخصيب الكاتب (الورقة ١٣٧ ب)•

١٠ - رسالة يعقوب بن اسحاق الكنديّ في أحداث الجوّ (الورقة ١٤٨ أ - ١٤٩ ب) •

١١ - كلام لابن وحشيّة (الورقة ١٥٠ - ١٥٤ أ) •

١٢ - فصل في معرفة أعياد اليهود (الورقة ١٥٤ أ - ١٥٨ أ) •

١٣ - فصل في شرح أعياد اليهود (الورقة ١٥٨ ب - ١٥٩ ب) •

١٤ - فصل في صفة الأُرْغَنُون[١] (الورقة ١٦٠ أ - ١٦١ أ) •

١٥ - آلات الروم [الموسيقية] (الورقة ١٦٣ أ) •

١٦ - صفة عمل بَرْشَعْثَا[٢] : ترجمة الحكيم أبي البركات أوحد الزمان ، منقول من السرياني (الورقة ١٦٣ ب) •

١٧ - فائدة في معنى لفظة « العراق » (الورقة ١٦٤ ب) •

١٨ - تقويم فلكيّ (الورقة ١٦٥) •

١٩ - في تأثيرات الكواكب وحلولها البروج (الورقة ١٦٧ ب - ١٧٠ أ) •

٢٠ - الحِكَم والأمثال (قصيدة نونية) لأبي الفتح عليّ بن محمد البستيّ (الورقة ١٧٠ ب - ١٧٢ أ) •

٢١ - نبذة في كيفية الاذان عند الشيعة (الورقة ١٧٢ أ) •

---

(١) مِن آلات الطرب • ويُعرف اليوم بـ « الأُرْغُن » •

(٢) لفظة سريانية بمعنى « ابن الساعة » ويُراد به الدواء الذي يفعل فعله في ساعته • ونظير هذه اللفظة ما اتخذه أبو بكر الرازي عنوانا لاحد تآليفه وهو « برء الساعة » • راجع : تذكرة داود الانطاكي (١ : ١٠١ - ١٠٢ ؛ بولاق ١٢٨٨ هـ) •

المخطوط الذي ننشره

يتضح من هذا السرد ، انّ المخطوط الذي ننشره اليوم ، هو ثاني ما في هذه المجموعة ، وقوامه إحدى عشرة ورقة ، تقع في هذا المجموع بين الورقة ٣٥ و٤٦ على ما أسلفنا .

وكان معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، قد صوّر هذه « المقامة »، في جملة ما صوّره من مخطوطات خزائن كتب استانبول[١] .

وخطّ هذه « المقامة » فيما يبدو ، من خطوط المئة الثامنة للهجرة . وهو ، على ما يراه القارىء في النماذج المنشورة ها هنا ، من الخطوط الوعرة التي تصعب قراءتها . ذلك ان الناسخ ، ولم يرد لاسمه ذكر في المخطوط ، قد أغفل تنقيط بعض الحروف المعجمة ، كما وقع له في أثناء النقل تصحيفات تناثرت في مواطن مختلفة منها .

تنطوي هذه المخطوطة على « مقامة » أدبية تاريخية عمرانية ، تتناول بالوصف مدينة بغداد في أواخر أيامها العباسية وبعيد سقوطها بأيدي المغول .

أنشأ هذه « المقامة » ظهير الدين الكازَروني البغداديّ الشافعي ، أحد علماء المئة السابعة للهجرة . وسيأتي الكلام عليه .

ونسخة هذه « المقامة » ، فيما بدا لنا ، نسخة فريدة لا يُعرف لها نظير . فهي أثر أُنُف يحسن إحياؤه بالتحقيق والنشر .

المقامات البغدادية

ولنا أن ننوه بأن غير واحدٍ من مُنشئي المقامات ، قد أفرد مقامة

---

(١) راجع في ذلك : فهرست المخطوطات المصوّرة . الجزء الاول لفؤاد سيد (القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٥٣١ ، الرقم ٧٩٩) .
وانظر : تاريخ الأدب العربي في العراق لعباس العزاوي (١ [بغداد ١٩٦١] ص ٢٦١) .

أسماها بـ « المقامة البغدادية » ، من ذلك :

انّ المقامة الثانية عشرة من مقامات بديع الزمان الهمذاني (المتوفّى سنة ٣٩٨ هـ = ١٠٠٨ م) ، عُرفت بـ « البغدادية » .

وان المقامة الثالثة عشرة من مقاما تالحريري (المتوفّى سنة ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) ، عُرفت أيضاً بـ « البغدادية » .

وانّ المقامة الاولى من المقامات الزينية لابن الصَيْقَل الجزري (المتوفّى سنة ٧٠١ هـ = ١٣٠١ م) ، عُرفت بـ « البغدادية » أيضاً .

وقد خصّ الشيخ ناصيف اليازجي (المتوفّى سنة ١٢٨٧ هـ = ١٨٧١ م) ، بغداد ، بالمقامة الثامنة من مقاماته الموسومة بـ « مجمع البحرين » .

وأفرد الشيخ عبدالله بن مصطفى الفيضي الموصلّي (كان حيّاً سنة ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦ م) مقامة بعنوان « المقامة البغدادية » ، لم تطبع . منها نسخة لدى حفيده نشأة الفيضي في الموصل . ذكرها الدكتور داود الجلبي في « مخطوطات الموصل ، ص ٢٩٩ ، الرقم ١٥ » .

شكر وثناء

ولا يسعنا في هذا المقام الا أن نتقدّم بجزيل الشكر الى صديقنا الكريم الاستاذ يوسف مسكوني . فقد أتاح لنا استخراج نسخة مصوّرة من هذه « المقامة » عن المكروفلم الذي ألمعنا اليه في صدر هذه المقدمة .

كما اننا نتقدم بأطيب الثناء والشكر ، لصديقنا الاستاذ المحقق السيد مكي جاسم ، فقد تفضل بمراجعة هذه « المقامة » ، وأبدى ملاحظات أفادتنا كثيراً في تحقيق نصّها .

المؤلف

مراجع ترجمته

في كثير من المؤلفات القديمة والحديثة ذِكرٌ لظهير الدين الكازروني . وقد رجعنا اليها ومحّصناها ، فاذا بترجمته وأخباره في جميعها محدودة ضيّقة النطاق لا تتعدى في جملتها كلمات معدودات .

وفي ما يأتي ثبتٌ بهذه المراجع ، وقد رتّبناها فيه وفق السياق الهجائي لعنواناتها .

الأعلام : لخير الدين الزرِكلي (٥ : ١٥٥) .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون :

لاسماعيل باشا البغدادي (١ : ٣٢٨ ؛ ٢ : ٧١٤ — ٧١٥) .

تاريخ الادب العربي في العراق : لعباس العزاوي (١ : ٣٥ — ٣٦ ، ٩١ ، ٢٦١ ، ٢٦٧) .

تاريخ العراق بين احتلالين : لعباس العزاوي

(١ : ٣٤١ ، ٣٨٠ ، ٤٣٣ ؛ ٢ : ٦٨) .

تاريخ علم الفلك في العراق : لعباس العزاوي

(ص ٦٧ — ٦٨) .

التعريف بالمؤرخين : لعباس العزاوي (١ : ١٢٧ — ١٢٩) .

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة : لابن[1] الفوطي

(ص ٤٩٧) .

الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر العسقلاني

(٣ : ١١٩) .

---

(١) نشره الدكتور مصطفى جواد ، في بغداد سنة ١٣٥١ هـ . وقد ذهب حينذاك الى انه لابن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ) . ثم تحقق له بعد ذلك ان كلا العنوان والمؤلف غير ثابت .

دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً : للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسه (ص ٢٢٦ ، ٣٢٣) .

طبقات الشافعية الكبرى : للسبكي (٦ : ٢٤٢) .

غاية الاختصار في أخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، المنسوب الى ابن زهرة الحسيني الحلبي (بولاق ؛ ١٣٠٩ هـ ، ص ١٢) .

فهرس المخطوطات المصوَّرة [في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية] : لفؤاد سيّد (١ : ٥٣١) .

فهرس المخطوطات المصوَّرة : لفؤاد سيّد (٢ [التاريخ : القسم الثاني] ص ١٣٤) .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة (١ : ٩٢٣ ؛ ٢ : ١٠١٣ ، ١٩٢٣ ، طبعة استانبول الثانية) .

معجم المؤلفين : لعمر رضا كحّالة (٧ : ٢٣٢) .

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : لابن تغري بردي (مخطوط ، لم نقف عليه ، فيه ترجمة للمؤلِف على ما ذكر جاستون ڤيت في فهرسته بأسماء المترجَمين في المنهل :

Wiet (Gaston) : Les Biographies Des Manhal Safi. Le Caire 1932 ; P. 240, No. 1639).

مؤرخ العراق ابن الفوطي : لمحمد رضا الشبيبي (٢ : ٩٧) .

هديّة العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين : لاسماعيل باشا البغدادي (١ : ٧١٥) .

* * *

وهنالك مراجع مخطوطة ، نوّهت بالكازَروني ، لم يتسنَّ لنا الوقوف عليها . قال صاحب « الدرر الكامنة » في أثناء ترجمة الكازَروني : « مات بعد السبعمائة فيما ذكره البرزالي . وقال الأدفوي : في ربيع الاول سنة ٦٩٧ . وقال الذهبي : كتب اِليَّ بمروياته سنة ٦٩٧ » .

ففي هذا الكلام دليل على انّ هؤلاء المؤرخين الثلاثة قد ذكروه في مؤلفاتهم .

أما المراجع الافرنجية الاستشراقية ، فان نصيب الكازروني منها ، الاهمال والاغفال . فهذا (بروكلمن) لم يذكر الكازروني بكلمة في كتابه العظيم « تاريخ الأدب العربي » ، لا في الاصل ولا في الذيل . ومثله « دائرة المعارف الاسلامية » .

ترجمة الكازروني

لم نجد بين المؤرخين القدامى والمحدثين الذين أفردوا ترجمة لظهير الدين الكازروني ، مَن أطال القول في تلك الترجمة ، أو أسهب فيما كان عليه من مقام في العلم والادب ومنزلة في المجتمع . وغاية ما ذكروه فيه كلمات معدودات ، على ما أسلفنا ، في وسعنا أن نجملها بما يأتي :

هو الشيخ ظهير الدين علي بن محمد بن محمود بن أبي العز بن أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الكازروني[1] ، ثمّ البغدادي ، الشافعي .

وُلد سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) . وسمع الحديث من الامير أبي محمد الحسن بن علي ابن المرتَضى ، وأبي عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطيّ (المتوفّى سنة ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م) ، وغيرهما .

كان الكازَروني من رجال العصر المغوليّ في العراق ، من أهل بغداد . خدم الديوان في الاعمال الجليلة . وكتب خطاً جيداً .

كان مؤرّخاً ، حَيْسُوباً ، فَرَضِياً ، لغوياً ، فقيهاً ، شاعراً . قال السبكي : له شعر حسن . وأورد له ابن حجر العسقلاني هذين البيتَيْن :

زارني في الظلام أهيف كالبدر　　بوجهٍ منه يلوح النور

(١) نسبة الى كازرون بفتح الزاي وضم الراء : مدينة في ايران في غرب شيراز .

قلتُ أهلاً لو كنتَ زرتَ نهاراً قال مهلاً في الليل تبدو البدور

لقد كان الكازَروني شيخ ابن الفوطي المؤرخ البغدادي الشهير (المتوفَّى سنة ٧٢٣ هـ = ١٣٢٣ م) ، وليس بمستبعد أن يكون ابن الفوطي قد خصَّ أستاذه بترجمة في كتابه الموسوم بـ « تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب » . ولكن الجزء الذي فيه حرف « الظاء » ضائع لا يُعرف له وجود اليوم .

ويؤخذ من ترجمة حياة البرزالي المؤرخ الشهير ، ان الكازروني كان قد أجازه باجازة علمية[1] .

ولنا أن نقول أنَّ مؤلف « الحوادث الجامعة » كثيراً ما ينقل عن تاريخ الكازروني ، ومثله الذهبي[2] .

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة الكازَروني ، على ما سبقت الاشارة اليه . ولكنَّ أغلب الروايات تقول انّه توفي سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٨ م) .

مؤلفاته

انْ كانت الخسارة بضآلة وقوفنا على ترجمة الكازروني كبيرة ، فان الخسارة بضياع مؤلفاته أدهى وأفدح من تلك ، ذلك انَّ مترجميه ذكروا له جملة مؤلفات لم ينته الينا منها ، فيما نعلم سوى اثنين ، هما : هذه « المقامة » التي ننشرها اليوم ، و « مختصر التاريخ » . أمّا سائر مؤلفاته فقد امتدّت اليها يد الضياع وأصبحنا لا نملك من أمرها أكثر من أسمائها .

وفي ما يأتي ثبتٌ بهذه المؤلفات ، وقد رتّبناها على السياق الهجائي :

(١) عباس العزاوي : مؤرخ الشام أو البرزالي وتاريخه : (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٠ [١٩٤٥] ص ٢١) .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين (١ : ٣٨٠) ، والتعريف بالمؤرخين (ص ١٢٨) .

١ - الاختيارات : جاء في الحوادث الجامعة (ص ٤٩٧) : انّ الكازروني « عمل كتاباً في الاختيارات سلك فيه طريقة ابن حَرّاز في الاختيارات التي عملها لشرف الدين إقبال الشرابي[١] » .

٢ - التذييل : قال الاستاذ عباس العزاوي : « هذا الكتاب جاء ذيلاً على تاريخ العمراني في الدولة العباسية من أولها الى أيام المستنجد[٢] بالله . وهو تأليف الشيخ الثقة محمد بن علي بن محمد ابن العمراني ، ابتدأ في الذيل في أول ولاية المستنجد ، وختمه بآخر امامة المستعصم[٣] بالله . عثرتُ على تاريخ العمراني ولم أعثر على التذييل . وجاء ذكر الاصل والتذييل في كتابه (مختصر التاريخ) عند الكلام على خلافة الناصر لدين الله . فكان لاشارته قيمتها[٤] » .

٣ - التنزّلات[٥] .

٤ - روضة الأديب[٦] في التاريخ[٧] : في سبعة عشر سفراً[٨] .

(١) عنوان هذا الكتاب « الاختيارات الزمانية للاعمال الكلية » . وقد وقفنا على نسخته الاصلية التي كُتبت لخزانة الامير اقبال الشرابي ، وهي نسخة خزائنية نفيسة ، هي اليوم لدى الاستاذ عثمان فوزي في استانبول .

(٢) دامت خلافته من ٥٥٥ الى ٥٦٦ هـ (١١٦٠ - ١١٧٠ م) .

(٣) دامت خلافته من ٦٤٠ الى ٦٥٦ هـ (١٢٤٢ - ١٢٥٨ م) .

(٤) التعريف بالمؤرخين (ص ١٢٩) .

(٥) ايضاح المكنون (١ : ٣٢٨) ، هدية العارفين (١ : ٧١٥) .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى (٦ : ٢٤٢) ،الدرر الكامنة (٣ :١١٩).

(٧) في كشف الظنون (١ : ٩٢٣) : في التاريخ ، أي تاريخ بغداد .

(٨) في كشف الظنون (١ : ٢٨٨ و ٩٢٣) : في سبعة وعشرين مجلدا .

٥ ـ السيرة النبوية[١] : سمّاها صاحب « هدية العارفين » (١ : ٧١٥) بـ « الذروة العليا في سيرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم » .

٦ ـ كنز[٢] الحُسّاب في الحِساب : في مجلد[٣] .

٧ ـ مختصر التاريخ : من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس. منه نسخة بخط قديم في خزانة جار الله باستانبول برقم ١٦٢٥ ، كُتبت سنة ٦٦٢ هـ ، مكتوب بأولها انها بخط المؤلف . وهي في ٩٧ ورقة بحجم ١٤ × ١٨ سم . وعنها نسخة مصوّرة في معهد المخطوطات العربية[٤] . وأخرى في خزانة الاستاذ عباس العزاوي . أوله بعد البسملة : ذكر مدة الزمان وما مضى منه . وآخره : وانقضت الدولة العباسية فسبحان من لا ينقضي ملكه ولا يزول سلطانه .

وقال الاستاذ عباس العزاوي فيه : « في سنة ١٩٣٩ ، وقفت عليه بخط مؤلفه . كتبه بعد سقوط الخلافة العباسية بنحو سبع سنين . وكنت أظن ان آثاره طمست ولم يبق ما يشير الى مكانته التأريخية . وفيه مطالب مهمة عن الآثار العراقية ، وتوضيح لمشاهدات في عمارات خيرية ، وكلام في الاسرة العباسية لا نجدها في غيره . فكان عظيما في اختصاره وهو صفوة تاريخ العراق ، ومتن متين فيه ، يغني على اختصاره عن

---

(١) الدرر الكامنة (٣ : ١١٩) ، كشف الظنون (٢ : ١٠١٣) .

(٢) في هدية العارفين (١ : ٧١٥) ، وايضاح المكنون (٢ : ٧١٤) : وكر . وفي معجم المؤلفين (٧ : ٢٣٢) : كسر .

(٣) الدرر الكامنة (٣ : ١١٩) .

(٤) فهرست المخطوطات المصورة (الجزء الثاني ـ القسم الثاني) : لفؤاد سيد (ص ١٣٤) .

مطالعة أسفار . وهو زبدة التصانيف وروح المطالب . وهذا المؤرخ ممن له أصبع في الادارة أو علاقة في الدولة ، ويستفاد من صحة نقله لبصره في شؤونها ، وكتب كما يريد ولم يكتب كما يراد »[١] .

٨ - مقامة في قواعد بغداذ في الدولة العباسية : وهي هـذه التي ننشرها اليوم . ولم نجد بين المؤرخين الاقدمين من ذكرها .

٩ - الملاحة في الفلاحة[٢] .

١٠- المنظومة الاسدية[٣] : في اللغة . نظم فيها رسالة « أسماء الاسد » للصغاني .

١١- النبراس المضيء[٤] في الفقه[٥] .

---

(١) التعريف بالمؤرخين (ص ١٢٨ - ١٢٩) .

(٢) الدرر الكامنة (٣ : ١١٩) .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٦ : ٢٤٢) ، هدية العارفين (١ : ٧١٥) ، تاريخ الادب العربي في العراق (١ : ٣٥) .

(٤) في كشف الظنون (٢ : ١٩٢٣) : نبراس المفتي .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٦ : ٢٤٢) ، الدرر الكامنة (٣ : ١١٩) .

وفي الاعلام للزركلي (٥ : ١٥٥) : في فقه الشافعية .

[٣٥ أ]

مقامة

أنشأها الشيخ العالم العدل ، ظهير الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمود بن الكازروني ، تغمده الله برحمته ، في قواعـد بغـداذ في الدولـة العباسـية

[٣٥ ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

عليه توكلت .

حدثنا قاضي تبريز ، وهو من ثقات المحدثين وسادات المحدثين ، قال : كنت لا أريم[١] عن بلدي المألوف ولو رغبت بالالوف . وكنت ضنينا أن أفارق بلدة بتربتها نيطت علي التمائم . الا اني كنت أسمع من جواب الاقطار وطراق البلاد والامصار ، ان دار السلام هي كعبة الاسلام وحرم الامام ومعدن الكرام ودار الخلافة ومحل الامن من المخافة . وبها مقر الملك وسريره وامام العصر وأميره ، خليفة[٢] الله وابن عم نبيه الاواه . تدعن الملوك بالطاعة لسلطانها ، وتداكك[٣] على أبوابه لتقبيل اركانها . والعدل بها ممدود الرواق ، والعلم مديد الاطناب في الآفاق .والدين منشور اللواء ، والاسلام محروس الجناب بالخلفاء . وقطانها أعـذب الناس أخلاقـا [٣٦ أ] وأكثرهم حياء واطراقا ، وأثقب العالم بصيرة ، وأعدلهم سيرة ، وأصفاهم سريرة ، وأدمثهم للصديق ، وأحناهم على الصاحب والرفيق . وزاهدهم العلم المشهور ، والقدوة المشار اليه في الامور . وعوامها السوقة تغتنم مفاكهتهم وتروق مجالستهم . أخلاقهم عذبة للصاحب ، وخواطرهم

---

(١) المخطوط : لا ارم . والوجه ما في أعلاه .

(٢) المخطوط : وفيها خليفة .

(٣) المخطوط : وتتباكك . يقال : تداك عليه القوم بمعنى ازدحموا.

من أعجب العجائب . يسبق ادراكهم البرق اللامع ، ويدهش ذكاؤهم الرائي والسامع . قد اعتدل هواؤها ، وطاب فناؤها ، وعذب ماؤها ، ورقت أسحارها ، وورفت[1] أشجارها . فهم في خفض من العيش يتقلبون . « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون »[2] .

فخطر ببالي في بعض الليالي ، أن ألبس سربالي البالي وأفارق أشبالي ، وأجعل على الله اتكالي ، في قطع فيافي البيداء ، ورفض الدعة للحث [٣٦ ب] الى الزوراء . فرأيت في المنام قائلا أسمع نداءه ولا أتحقق مرآه ، ويملأ سمعي صوته وان كنت لا أراه ، يقول : يا عبدالله « فاذا عزمت فتوكل على الله »[3] .

فنهض بي عزمي لاجابة الداعي ، وقعد أطفالي ينتحبون لوداعي ، وأنا أعد للرحلة زادي ، وأملأ بالماء ، لبعد المسافة ، مزادي[4] . فلما اقتعدت راحلتي وأنضيتها في قطع مسافتي ، وافيتها بلدة خالية ، وأمة جالية ، ودمنة حائلة ، ومحنة جائمة[5] ، وقصورا خاوية ، وعراصا باكية . قد رحل عنها سكانها ، وبان عنها قطانها ، وتمزقوا في البلاد ، ونزلوا بكل واد . وقصورها المشيدة مهدومة ، ونعماؤها مسلوبة معدومة ، موحشة لفقد قطانها ، باكية بلسان الحال على سكانها . عظام العظام بالية تسفي عليها الرياح السافية . « فهل ترى لهم من باقية »[6] . فوقفت أبكيها وأندب ربوعها ومن كان فيها .

[٣٧ أ] وأندب أطلالها تارة وأبكي على فرقة الظاعنينا
فلو ذهبت مقلة بالبكاء لفرط الغرام لكنا عمينا

(١) المخطوط : وزفت .
(٢) سورة الانعام . الآية ١٢٦ .
(٣) سورة آل عمران . الآية ١٥٨ .
(٤) المزاد : قربة الماء .
(٥) المخطوط : جائلة .
(٦) سورة الحاقة . الآية ٧ .

وهناك شخص قد بصر بحالي وهو يذري[١] دمعه لسماع ارتجالي فقلت له : ما جلاؤك فقد اعجبني حالك . فقال : اليك عني واذهب لسبيلك ودعني . فاني أتمتع بالبكاء وأسح[٢] الدمع على هذه الاصداء ، وأقيم مأتم العزاء . فلو رأيت من هذه البلدة ما رأيت ، لاذريت معي الدمع ولاسمع بكاؤك الجمع . فقلت له : حدثني كأني أشاهد ، وصف لي ما كان بها من المشاهد . فقال : يتصدع قلبك ويطير لسماع ذلك لبك . واذا شئت فاتبعني وحدث عن نفسك ولا ترو عني . فأسرعت خلفه أقص أثره ، حتى وقف بي على عبرة ما[٣] اعتبره . فرأيت حرم الخلافة مهانا ، بعد أن كان كعبة وأمانا . فطاف [٣٧ ب] بي ببعض قصوره واعتذر عن الباقي لقصوره وقال : يكفيك ما ألمحك وأريك . هذا رواق[٤] عزيز ، الرفيع البناء ، وهو سرير ملك الخلفاء ومحل أنس السادة الامـراء ، ومهبط الخـول[٥] والحشم ، ومقر الحور والخدم ، يسرح النظر منه في أنضر مقام ، وترتع العين منه في أبهى خليفة وامام .

مقام عليـه للنبـوة هيبـة ... وفيه من الركن العتيق ملامح
يود بسيط الجو لو انه لـه ... بساط وان الشهب فيه طرائح[٦]

كانت تبرز منه الاوامر الشريفة الى الديوان بعلم الخليفـة ، تارة

---

(١) أذرت العين دمعها : صبته .
(٢) سح الدمع : نزل بغزارة .
(٣) المخطوط : من .
(٤) من أروقة دار الخلافة ببغداد . كان قائما في أواخر أيام الدولة العباسية وبعد انقراضها راجع : مقالة « عنوز الجدود على النقود » لكوركيس عواد : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـق (٢٠ [١٩٤٥] ، ص ١٥٤ – ١٥٦) . وانظر دليل خارطة بغداد (ص ٢١٦ – ٢١٩) .
(٥) الخول ، محركة : جمع خول . العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية .
(٦) المخطوط : طلايح . والطرائح جمع طرحة ، وهي ها هنا بمعنى الطيلسان .

بجزيل الصلات ، وتارة بالمعروف واقام الصلاة ، وتارة بالنهي عن المنكرات، وتارة بالقصاص من أهل الجنايات ، وتارة الى الملـــوك بالتقدمات وتارة بالتخويف من التبعات . ترعد فرائص الملوك لورودها ، وينزل بها الرعب في صدورها ، فتقابلها بالامتثال [٣٨ أ] وامضاء مراسمها في الحـــال بعد التبرك بها ، وامرارها على نواظرها . طوبى لمن كانت تصل اليـــه ، ويا حسرة من فاته تقبيلها[١] ، وواها لمن[٢] كان يصل الى هذا المقام أو يتمناه أو يبلغ درجة المثول به ، أو يراه . قد تبدل بعد الانس بالكآبة ، حتى صار بهذه المثابة يستوقف بلسان حاله ويستبكي على تغير أحواله . فسبحان من له الدوام والبقاء والعظمة والكبرياء . « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشـــاء وتذل من تشاء »[٣] .

ثم قال : وهذا باب الحجرة الشريفة المشار اليه وعنده كانت تقف[٤] دابة النوبة والمعول من الابواب عليه ، لانه باب أم الخليفـــة ، فلذلك فضلها . وعنده كان ينادى بالصلاة لكل فريضة افترضها . فلو سمعت ترجيع القراء به من الاذان واختلاف الاصوات [٣٨ ب] بضجيج الالحان ، لانسيت مطربات القيان . ولو عاينت وقوفهم بهذا المكان يودون لو صافحوه بالاجفان ، لعلمت موضع هيبته ، ولظهر[٥] لك حقيقة حرمتـــه . ولكن أنت تشاهد الان أصداء بالية وربوعا خالية .

ثم استدبره وتعداه ومضى عنه وخلاه ، وأنا أتبع ظله أينما ذهب ،

---

(١) المخطوط : فضيلتها .

(٢) المخطوط : وواها عليه من كان .

(٣) سورة آل عمران . الآية ٢٥ .

(٤) المخطوط : يقف .

(٥) المخطوط : وظهر .

وأقفو[1] أثره لانظر العجب •

فجنح الى بعض الاماكن ، وقال : وهذه دار الطبــل ، ولكن أين الساكن ؟ كانت آهلة بالمبنكمين[2] ، عامرة بالساعاتية لادراك وقت التأذين • فاذا دخل وقت الصلاة ، ضربت النوبة في جميع الاوقات •

وهذه القصور التي تراها ، والنعمة الظاهر أثرها ، أين من بناها ؟ كانت الجهات[3] بها محمية الجانب الى ان حكم فيها الاجانب ، فاسترقوا كالاماء ، واستهينوا كالعبيد ، بعد الملك والثراء والنعيم والضوضاء والصيتة [٣٩ أ] والعلاء والمنزلة الرفيعة العلياء •

ثم هرول قدامي وأنا أنقل خلفه أقدامي ، حتى خرج من الدار ، وقال قد وقفت على الآثار • فقلت : بالذي حكم بما نحن فيه ! اجعلني ممن تصطفيه ، فقد أنست بصحبتك نهاري ، ورحضت[4] فكاهتك تعبي وأفكاري • فقال : سمعا لك وطاعة ، فقد وجب حقك في هذه الساعة • فمن صح قصده الينا وجب حقه علينا ، وسأنكفىء بك الى داري ، وأسهمك درهمي وديناري • فشكرت له عن صالح ما نواه ، وقطعت أملي عمن سواه • فلما صِرت معه الى داره ، فصُرت[5] بوجهي اليه لاستماع أخباره • قلت له : غرضي ، حيث قد فاتني العيان أن أعرف ما كانت عليه بغدان[6] ،

---

(١) المخطوط : واقفوا •

(٢) هم الذين اليهم النظر في البنكامات • والبنكامات آلات يقدر بها الزمان • وهي أصناف : رملية ، ومائية ، ودورية أي معمولة بدواليب يدير بعضها بعضا • أنظر : كشف الظنون (١ : ٢٥٥ ، ط • استانبول ١٩٤١) •

(٣) الجهات واحدتها الجهة • وهي كناية عن المرأة السيدة الجليلة القدر • أنظر : صبح الاعشى للقلقشندى (٥ : ٥٠٢) ، والالقاب الاسلامية لحسن الباشا (ص ٢٤٨) •

(٤) رحضت : غسلت •

(٥) من صار يصور : بمعنى أمال يميل •

(٦) بغدان لغة في بغداد • وفي معجم البلدان (١ : ٦٧٨ ، ط • ليبسك) : سبع لغات وردت في اسم بغداد •

فابسط لي بالحديث ولا تبق[١] من قديم ولا حديث . فقال : أما الدولة الامامية فمن ينتهي الى وصفها ؟ ، وكيف أبلغ الى حقيقة نعتها ؟ . كانت دار الوزراء ينزلها الامراء ، لانها باب الخليفة الظاهر ، واليها التقدمات لشريف الاوامر . والصدور تختلف اليها ، وتراجع الديوان فيما يعتاص عليها [٣٩ ب] ، وحاجب المجلس بصدد انفاذ التقدمات وامضاء المراسم وابرام المهمات . والحجاب على اختلاف طبقاتهم بين يديه ، [والنقباء في أماكنهم الا انهم أهون عليه . فحجاب المناطق كالعرائس في صدور المجالس، أو الاقمار في الليل الدامس ، والقيام قياما لا يزالون ، والنقباء بعدهم في الخدمة يقفون][٢] . والمركوب يقف عند ستر الباب الثاني على أجمل هيئة وأحسن معاني . وبعده الدار الوسطى . وبها دست[٣] الوزارة في الايوان . وكاتب السلة [ونواب الديوان وكتابه على صفة وتجاههم عارض الجيوش ومسومها[٤] على صفة][٥] . وبواب العرض في ذلك المكان ، كل منهم يختص بقطر منها ، وله مقام لا يحول عنها . والوزير منها بعد الستر الثاني تحفه ولدانه المعوذون بالمثاني . فمن ورد من الصدور وذوي المراتب جلس الى أن يأذن له الحاجب . وان قدم رسول تأهبوا للخروج وجعلوا صدر الموكب من يليق بحاله للتسليم عليه حبرا[٦] لمرسله وتشريفا لمنفذه ومحمله . فيدخل والدعاة بين يديه والجاووشية[٧]

---

(١) المخطوط : تبقي .

(٢) ما بين المربعين يعتوره غموض فيما نرى .

(٣) الدست : لفظة معربة بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرئاسة . انظر : (شفاء الغليل ، ص ٩٧ ، ط . الوهبية ـ ١٢٨٢هـ) .

(٤) التسويم : التعليم أي وضع العلامات .

(٥) ما بين المربعين ورد في هامش الصفحة .

(٦) يقال حبره حبرا : سره وأبهجه .

(٧) الجاووش والجاويش والشاويش : لفظ تركي جمعه جاوشية وجاويشية . وهم جنود وظيفتهم السير أمام السلطان في مواكبه للنداء وتنبيه المارة . راجع معجم الادباء (٧ : ١٩٩ ، ط . مرجليوث) ، والسلوك

تصيح بالتطريق[1] ، والجاندارية[2] الى جانبيه ، والمماليك في طريقه صفوفا وعلى الخدمة عكوفا [٤٠ أ] فاذا وصل باب النوبي[3] عضدوه وفسحوا له فحطوه ، فصلى به ركعتين وقبل مرة بعد مرتين ليحصل له بذلك كمال الدخول في طاعة الديوان والتشرف[4] بالمثول في ذلك المكان . ثم يحمل الى دار خدمته وتدر عليه الاقامة من ساعته كذلك ثلاثة أيام . ثم يستدعى للكلام . فاذا نجزت أشغاله وآن ارتحاله كتب له الجواب وشرف بأفخر الثياب .

وكانت البدرية أحد أبواب الخليفة[5] العلية ، يسكن بها الشرابي أحد خدمه وصاحب[6] الحكم في داره وحرمه ، وخاص الخواص وسيد العام والخاص وزعيم الجيوش والقواد ومالك الامر في البلاد ، واليه ترجع المماليك والخدم ، وعلى يده تفض الاموال والنعم . فمنها انه في كل

للمقريزي (١ : ٨٧٠ ، الحاشية ٢ ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة) و
Dozy, Supplement aux Dictionnaires Arabes. I, 169

وما كتبه الاب انستاس ماري الكرملي في لغة العرب (٤ [بغداد ١٩٢٧] ص ٦١١ – ٦١٢) ، والرتب والالقاب المصرية : لاحمد تيمور (القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٥٥ – ٥٦) .

(١) طرق له بتشديد الراء : جعل له طريقا .

(٢) الجاندارية : فئة من مماليك السلطان أو الامير . واللفظة فارسية من : « جان » بمعنى سلاح ، و « دار » بمعنى ممسك . راجع السلوك للمقريزي (١ : ١٣٣) ، ودائرة المعارف الاسلامية (٦ : ٢٤٧ ، الترجمة العربية . مادة « جاندار ») .

(٣) باب النوبي : من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد . كان يدعى بباب العتبة أيضا ، فقد كانت فيه العتبة التي يقبلها الرسل والامراء والملوك ورؤساء الحجاج اذا قدموا بغداد . أنظر دليل خارطة بغداد (ص ١٥٨) .

(٤) المخطوط : والتشريف .

(٥) لعل الاصل : أحد أبواب دار الخليفة أو دار الخلافة .

(٦) المخطوط : فصاحب .

عام يجلس للخاص والعام ، ويفض من المبار ما يجاوز حد الاكثار فيشمل بعطائه الداني والقاصى ، ويعم بنائله المطيع والعاصى ،

شعر :

يكاد يحكيه صوب الغيث منهمـرا   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبـا

[٤٠ ب] فيستمر على ذلك أياما ، يعطي فيها أموالا جساما ، نيابة عن مولاه ، اذ هو أجل من أن يتولاه ، الا انه يشاهد فض الاموال من وراء الحجاب ، ويسمع ابتهال المخلصين بالدعاء المجاب . فاذا انقضت أيام العطاء ، انتصب لتدبير ملك الزوراء مشيرا بالمصالح ، ومنبها على الخير اللائح . وله مركوب يوقف[١] بها الى الليل[٢] ، ثم يحمل الى مقام الجيل ، تحفه غلمان كالعقبان ، وتزفه في مركب من العقيان . وكانت الصدور كالاهلة لا [بل][٣] كالبدور . فصاحب ديوان[٤] الزمام هو صدر صدور الاسلام وخالصة الامام وسيد أصحاب الاقلام ، وصاحب البلاد ، والمؤتمن على الطارف والتلاد ، الحاكم في السهل والجبل ، المطاع

---

(١) المخطوط : يقف .

(٢) كذا ورد في النص . والظاهر ان المقصود ان له محفة يطوف بها على المصالح .

(٣) زيادة اقتضاها المقام .

(٤) عرف أيضا ب « الديوان » و «الديوان العزيز » و «ديوان زمام الازمة » لم يكن موجودا في عهد بني أمية . أنشىء في سنة ١٦٢ هـ . والمراد به الديوان الاعلى المشرف على الدواوين الفرعية في الدولة . ويمكن تشبيهه بديوان المحاسبة في زمننا . أنظر : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (ص ١٢٤ ، ١٨٣ ط. آمدروز) ، تكملة تاريخ الطبري للهمداني (ص ٢٠٥ ، الطبعة الثانيــة ـ بيروت ١٩٦١) بتحقيق البرت يوسف كنعان . الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير : لابن الساعي (٩ : ١٦ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٨٠ ، بغداد ١٩٣٤ ـ بتحقيق الدكتور مصطفى جواد) ، والخراج والنظم المالية للدولة الاسلاميــة : للدكتور محمد ضياء الدين الريس (ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ، القاهرة ١٩٦١) .

الامر ان قال أو فعل ، لا يدرك شأوه أصحاب المراتب ، ولا ينال درجته أرباب المناصب ، لقربه من الخليفة ،ومثوله عند السدة الشريفة ، في حالتي السفر والحضر ، ان غاب شخصه عنه أو حضر . يتخصص بذلك عنهم ، فان جحدوه فضله ، فانه تتزلزل لركوبه أرض الزوراء ، وترعد لهيبته فرائص الكبراء ، وتنشر خلفه [٤١ أ] أعلام المشاد ، وتضرب له الطبول في سائر البلاد ، وفي خدمته النظار والصغار والكبار ، والاتراك والامراء والسادة والعظماء . حتى ان الخليفة جلس يوما عند عوده من البلاد ، والسادة ولده الاجواد لينزههم في موكبه ويشاهد ركوبه في منصبه . وكفى بذلك شرفا ، فآها على الملك كيف قد عفا .

وأستاذ[١] الدار بصدد مصالحها ، وله منصب شريف بها ، يتولى امور الامراء ، وديوان الابنية ، وأبواب الخلفاء ، وخزائن السلاح وامر نوابها ، ورجال الابواب وما يتعلق بها ، وخزانة الفرش للاستعمال ، واليه في الكل المرجع والمآل .

وقاضي القضاة لمصالح المسلمين وتشييد قواعد الدين ، واثبات الحقوق الشرعية والعمل بالشريعة المحمدية ، يسجل بشهادة المعدَّلين[٢] ويعقد الانكحة بين المسلمين . يكتب له تقليد عند ترتبه ، وتفوض اليه الامور ليعلي منار الشرع بعزه [٤١ ب] وعزمته . ومال الايتام اليه ومعولهم في حفظ أموالهم عليه .

وصاحب المخزن أحد الصدور المنصوص عليه ، وصاحب الرأي المشار اليه ، يتولى أعمال المخزن ونواحيه ، وتدبير كثير من مصالح الديوان

(١) ويقال فيها الاستدار وأستادار وأستاذ الدار . وهي مركبة من لفظين فارسيين . أستاذ أو أستذ بمعنى « الاخـذ » ، ودار بمعنى « الممسك » . وهو لقب من يتولى قبض مال الخليفة أو السلطان أو الامير وصرفه . وتمتثل فيه أوامره .

(٢) هم الذين ثبتت لهم العدالة في الديوان الشرعي .

ويليه • فطوبى لمن أُهـِّل لمقامه ، وشرف بما فوض اليه في اهتمامه •

والنقيبان ، فأحدهما ينظر في مصالح الطالبين الاكارم ، والاخـر يلي أمر الاسرة[1] من بني هاشم • وكل منهما عالي الدرجة والمكان ، عظيم القدر جليل الشأن •

وحاجب الباب هو صاحب سيف الامام ، المتفرد بالسياسة في العوام بالعدل في الاحكام • فمن سرق قطعه ، ومن انتهك المحرمات ردعه ، ومن قتل قتله ، واقتص للمظلوم ممن ظلمه • وبين يديه النواب والاعيـان ، والحجاب يتقلدون ذلك أجمع ويقتصون في ملأ ومجمع •

وعارض الجيوش بصدد مصالحهم والعرض في الديوان لتخـير صالحهم ، واعتبار[2] الاسلحة والدواب [٤٢ أ] واصطفاء الاكفاء والشباب •

الا ان الله سبحانه وتعالى ، لما أرسل عذابه سلب كلاً منهم عقلـه وصوابه • فنفذ سهـم القضـاء ، وانتشـرت جناح الحـِمـام في الفضـاء ، فلم تنفع الجُنـَّة ولا السلاح ولا البواتر ولا الرماح • فوقع الفشل وعَمَّ الكسل وساء العمل وكثر الزلل ، وبَطـُل التدبير وحار الوزير : فنزل بهم العدو حين اختلـّوا ، و « ما غـُز ِي قومٌ في عُقر دارهم الا ذلوا »[3] •

ولقد كانت الملوك كالاسود الضواري ، أو كالعقبان على ظهور المهاري• والمماليك كالبدور والبـُزاة والصقور • والمُلك على سوقه قائم ، ور ِواق المملكة رفيع الدعائم • والايام أعياد وأفراح ، والليالي أعراس ومراح ، ورياض الزمان متفتقة النـُوَّار ، وساعات الايام مشرقة الانوار • وشخص العطاء مهزوز الاعطاف ، وسحائب الانعام غدقة النـِطاف • وبروق الآمال ممطرة الانواء ، وأقطار المواهب عبقة الارجاء • وأفنان الافراح خضرة

(١) يقصد الاسرة العباسية •

(٢) اعتبر الشيء : اختبره •

(٣) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في نهج البلاغة (١ : ٦٤ ، من طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد ـ في القاهرة) •

الاغصان ، وأطيار [٤٢ ب] المسار خاطبة على منابر الافنان[١] • ففي كل وقت تُضْرَب طبول الهناء على أبواب الامراء ، وتخفق بوقات السراء مؤذنة بدوام النعماء • فلا وحقك لا والله ، ما نظرت عيني الى أحسن[٢] منها بلدة أبداً • وكيف يمثّل بها أو يقاس ، أو يشبَّه بالقدم ، الرأس •

وقد كانت تمضي لاهلها الاوقات والايام والساعات كاملة المسار واللذات ، ولهم فيها من كل الثمرات • والمواسم تجلى في حلي النضارة ، وتلذ أيامها للنظّارة •

فمنها موسم الحاج ، وهو أعظم مواسم السنة التي تكلّ عن وصف حسنه الالسنة ، وتفتح فيه آدُر المضيف لكل بائس من الحاج وضعيف • وتضرب على دجلة الحياض والروايا ، ويؤذن بالحج في سائر الرعايا • ثم يهرع الناس الى الفرجة على التبريز في حُلل الابريز ، ما بين فتى وفتاه ، وشاب قد فُتن بحسنه فتاه • يرتعون في رياض الجانب الغربي ، ما بين ماش أو ممتط صهوة عربي • فلا يزالون كذلك أياماً يمرحون وحداناً [٤٣ أ] وفئاماً[٣] • والسبل تُجلى في المواكب الى الخيام ، وتُزف الى منازلها بالعبيد والخدام • فأول ما يَقدِمُها العَلَم ، وهو مَحمَل الخاص • وبعده الكوس[٤] ، وجند السفر ، والنوبة المكيّة في الاثر ، تتهادى بين الحجّاب والدعاة ، والقراء في أحسن الصفات • ثم يتوالى في كل يوم سبيل بعد سبيل ، ورَحْل كل جهة[٥] محمل جميل ، حتى ينتهي خروج

---

(١) في أعلى هذه الكلمة : جمع فنن •

(٢) المخطوط : بأحسن •

(٣) الفئام : الجماعة من الناس •

(٤) الكوس ، جمعها الكوسات • جاء في تاج العروس (٤ : ٢٣٦) : « الكوس بالضم : الطبل » • وفي صبح الاعشى (٤ : ٩) : « الكوسات : هي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بايقاع مخصوص » •

(٥) الجهة : كناية عن المرأة السيدة الجليلة القدر ، وقد سبقت الاشارة اليها •

الحاج المجتمعين في الفجاج . فيُخلَع على الامير ويُكلَّل ، ويُنعَم عليه ثم يُحمَل ، فيخرج من ساعته ويدخل الحاج في طاعته .

فاذا رجعوا سالمين ، فهو موسم ثانٍ للمتفرجين ، يُفَض فيه مِن التشريفات[1] على الحاشية والولاة ، ما يدهش الناظر ويجلو النواظر . وما منهم الا من قد بَخْبَخ[2] بسلامة أهله ، مرحين « بما آتاهم الله مِن فضله[3] » .

ومنها شهر الصيام ، المختص بالعبادة والقيام ، المفتتح بالصدقات ، المنَوَّر الليالي بالصلوات . ففي أول يوم منه يُفَض على العلماء والمتصوفة [٤٣ ب] والنبلاء مِن بِدَر الانعام وبُدْنِ الانعام ما يجاوز حدَّ الاكثار . ويُغني وقت الافطار . ثم تُفْتَح آدُر المَضيف للعوام والفقراء والايتام ، فلا يبقى من لا[4] يشمله الانعام ، ويحصل له القوت في الصيام . وما من الملوك الا من عليه راتب ، وكذلك الصدور وأصحاب المراتب ، يُفْطِر على أطباقهم الاماثل ، وأطايب الالوان تصل الى الفقير والسائل . ولياليه مشرقة بالمصابيح ، والمساجد منيرة بالصلوات والتراويح . والعوام ملتهية بالملاذ والغناء والفرح الى منتهى وقت العشاء . ثم تُرفع قناديل التسحير وتتناغى شحارير التذكير . وأيامه كلها عبادة ، وأوقاته طاعة وزيادة . فاذا بقي من الشهر أربع ليال ، وعاد جديده كالاسمال ، خلع المخزن تشريفات الخليفة على صدور الدولة الشريفة ، ثم بعده الملوك وأرباب المراتب والسادة

---

(١) التشريفات جمع « التشريف » ، وقد وردت في صبح الاعشى (٤ : ٥٢) بصورة « التشاريف » ويراد بها الخلع والهدايا التي يشرف بها بعض الناس .

(٢) بخبخ الرجل قال له : بخٍ بخٍ . وهي تقال للمدح واظهار الرضى بالشيء .

(٣) سورة آل عمران . الآية ١٦٩ و ١٧٩ ، سورة النساء . الآية ٣٦ و ٥٣ .

(٤) المخطوط : فلا يبقى الا من يشمله . والوجه ما في أعلاه .

ولده الاطايب ، حتى يصل الانعام الى الخاص والعام . فقلّ مَن لا ينال منها نصيباً ، وفي البعيد من لا يكون منها قريباً .

ثم يتهيأ الناس للعيد المشهود والمجمع المحشود الذي تكِلُ عن حسن وصفه ألسنةُ البلغاء ، وتعجز عن ادراك وصفه عقول الالباء ، فلا ينتهي الى نعته [٤٤ أ] قول قائل ، ولا يصل الى مثله الاواخر ولا الاوائل ، ولا رُئي لاحد من الملوك ما يناسبه ، ولا حُكي ان لهم مثله أو ما يقاربه . فيباكَر اليه في أحسن زينة ولباس ، ويجتمع لرؤية الموكب أكثر الناس . ثم يجلس الخليفة في داره ويعرض الموكب بأهله وصغاره . والملوك في أحسن زينة وأبهى حلية ، وأعظم سكينة . فلا يزال الموكب والعساكر تجري كالسيل في جمع كنجوم الليل ، كذلك ثلاثة أيام حتى ينقضي منقضاه ، ويصل آخره ومنتهاه ، وقد تكاملت للعالم المَسارّ في آناء الليل والنهار .

فان كان الاضحى نحر الخليفة في أبوابه ، وكذلك أهل بلده ، رغبةً في ثوابه . فيمتار الفقراء ، ويؤجر الاغنياء .

ومنها موسم التُرَب[1] ، واليها المنقلب . فيركب الوزير في أرباب الدولة والامراء والصدور والكبراء ، في موكب مُشَهَّر الى الرصافة ، وهي مدفن ولاة الخلافة . فيجتمعون بها للقراءة والدعاء واهداء الثواب للخلفاء ، كذلك أياماً يُشْرِق [فيها][2] ويُغْرِب[3] ، وقراء المواكب تَشوِق وتُطْرِب . فاذا كان الليل اجتمع المتصوفة والفقهاء ، وأوقدت الشموع ، وقرأ القُراء ، وشرع الوعّاظ في الكلام [٤٤ ب] والاحياء الى آخر الظلام . فاذا أسفر الصباح وبادر المؤذن بالفلاح ، فُضَّ على المذكورين من الحلواء وأطايب الطعام والغذاء ما يستغرق حد الاكثار ،

(١) القبور .

(٢) زيادة اقتضاها المقام .

(٣) أي يحضر وقت الشروق والغروب .

ويعم ذوي الاقتار • على ان الايـــام كلها كانت تمضي أفراحـاً ومواسم يرتاح اليها الناس ارتياحاً • ففي كل سبت عيد جديد وموسم سعيد ، يخرج الناس الى الرياض والازاهير لســماع أصــوات الشحارير ، والغلمان كالولدان[1] ، والجواري كالحور الحِسان ، ما بين أهيف وأحور وأكحل وأغْيَـد وأعطر[2] •

في البدر من وجنته نُكتةٌ   وفَترةٌ في العين من طرفه
اذا مشى جاذبه ردفــه   كأنه يمشي الى خلفــه

وطفلة تكامل شبابها ، وطاب عَرفها ، وعذب رضابها ، ترمي عــن قِسِيِّ الحواجب بسهام الغُنج الصوائب •

شعر :

وتنال منك بحد مقلتهــا   ما لا تنال بحدها النُصلُ
واذا نظرت الى محاسنهـا   فلكل موضعِ نظرةٍ نَبْلُ

والناس في أرغد عيش ، وأطيب زمان ، وأعدل وقت وأصفى أوان •

وأما زمان الربيع وأيام الوشي البديع ، فانهم كانوا [٤٥ أ] يصطحبون ويتجمعون وينثالون « كأنهم الى نُصُبٍ يُوفِضُون »[3] • فينزلــون الجواري في رهط من الجواري ، ويدخلون نهر عيسى[4] ، ويباكرون نحو قصده تغليسا • فيجتمعون بالمُحَوَّل[5] ، اذْ عليه في الحسن المُعَوَّل •

---

(١) يقصد الولدان المخلدين •

(٢) كذا • ولعلها : وأقمر ، ما لونه لون القمر •

(٣) سورة المعارج • الآية ٤٢ •

(٤) نهر كان يروي منطقة بغداد الغربية • عرف في العصر العباسى بهذا الاسم نسبة الى عيسى بن علي عم المنصور •

(٥) المخطوط : بمحول • والمحول على ما ذكر ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٤٣٢ ، ط وستنفلد) : « بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البســاتين والفواكه والاسواق والمياه ، بينها وبين بغداد فرسخ • وآثارها عند التلول المعروفة اليوم باسم « المضيق » ، على الطريق بين بغداد وأبي غريب على بعد زهاء ستة كيلومترات من جسر الخر • أنظر دليل خارطة بغداد (ص ٤٧) •

يخترفون[1] أشجاره ، ويقطفون ثماره ونَوّاره ، ويفترشون رياضه وأزهاره ، وينزلون غيطانه وأنهاره . ثم تعزف القيان ، وتصطخب العيدان، وتصفق الغدران ، وترقص الاغصان ، وتميد الافنان . وكلما دسع[2] الراووق[3] طاب المشوق ، وكلما بكى السحاب ضحك الحَبَاب[4] . وكلما طرب العود زمجرت الرعود ، وقد انتظموا في سلك الراحة واجتمعوا للاستراحة . كذلك أياماً لا يطعمون مناماً . الا انهم انتهكوا المحارم وارتكبوا المآثم ، وأصروا على الفجور وسفك الخمور . ولا جرم ان العرش اهتز غضبا ، وسُعِرَت جهنم حصباً[5] ، وازدادت لهباً ، فأخذهم الله تعالى اليه « أَخْذَ عزيز مُقْتَدِر »[6] ، « ولقد تركناها آيةً فهل مِن مُدَّكِر »[7] . فأين المُلْكُ الباذخ [٤٥ ب] والشرف الشامخ . ذهبت والله الشهوات ، وبقيت التبعات ، وخشعت الاصوات ، وسقيت الرفات من اعظم العِظات . فالمرجع الى الله تعالى في الملمات ، فانه « رفيع الدرجات »[8] ، و « هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات»[9] .

فما رأيك أيها العبد الصالح ، في الاشتمال على المصالح ، ورفض الدنيا والانقطاع ، والتطبع بأحسن الطباع . فقلتُ : نِعم ما رأيتَ والبُشرى لك في ما نويتَ . فعاهِدْني على الزهادة والتخلي لنوافل

(١) اخترف الثمر : جناه .

(٢) دسع الاناء : ملأه .

(٣) الراووق : الكأس ، أو الاناء يروق فيه الشراب .

(٤) الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر .

(٥) الحصب : ما هيىء للوقود من الحطب .

(٦) سورة القمر الآية ٤١ .

(٧) سورة القمر . الآية ١٤ .

(٨) سورة غافر . الآية ١٤ .

(٩) سورة الشورى . الآية ٢٤ .

العبادة . ودع عنك الاباطيل « والله على ما نقول وكيل »[1] .

ثم أكد بيني وبينه الميثاق وعزم على الانطلاق فزودته بما حضر من العَين[2] ، وودعته وعيني كالعَين[3] ، فلا أدرى ، وأبيك ، أين سلك ، ولا أعلم أحيٌ هو أم هلك .

تَمَّت المقامة مُنتسَخةً مِن خط مصنفها . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامُه .



---

(١) سورة القصص . الآية ٢٧ .
(٢) العين : النقد المضروب من المعدن ، نحاسا كان أم فضة أم ذهبا .
(٣) العين : ينبوع الماء .

المحتـويات

٢٥

[illegible]

مقامة
انشاها الشيخ العالم الجل
ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد بن
محمود بن الكازروني تغمده الله برحمته
في قواعد بغداد في الدولة العباسية

عنوان المقامة في المخطوط

احدى صفحات المخطوط

احدى صفحات المخطوط

والشرف الشامخ وبعثت [illegible] الشهوات وبعثت [illegible]

[illegible] الصوات وبيتت الوفات بأعظم العظات

فالمرجع إلى الله مالك الممالك فانه رفيع الدرجات وهو

الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات

وإياك ايها العبد العاجز من الاستشعار على العاجل و[illegible]

الدنيا ومن ابتغاه والتطلع بأحسن الطاعة عكفت نعم

ما رأيت والبشرى لك مما تؤتيت فعاهد نفسك على

الزهادة والتعفف لنوائب العباد ودع عنك الأباطيل

والله على ما نقول وكيل ثم اكد عزمه [illegible] المشاق

وعزمه على الانطلاق فرددته ما عزم العبد وودعته

وعينيه العبر بلا ادري واين سلك والله اعلم

احي هو أم هلك ـــــــــــ العامه

[illegible] بحمد الله رب العالمين

وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلامه

الصفحة الاخيرة من المقامة

MAQAMA

FI QAWA'ID BAGHDAD

FI

AD - DAWLAT - IL -'ABBASYYAH

BY

ZAHIR AD-DIN AL-KAZARUNI

(7th Century of Hijrah)

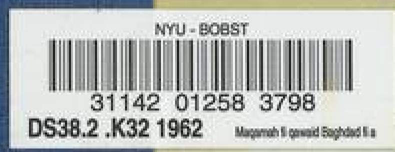
Edited By

GURGIS AWAD MICHAEL AWAD

Issued by the ministry of guidance
On the Occasion of the Millenary Festival of Baghdad and Al-Kindi, to be held under the Patronage of the Faithful Leader H. E. Major General Abdul Karim Qassim, the Prime Minister and C. - In C. of Armed Forces.

Al-Irshad Press — Baghdad
1962




NYU - BOBST
31142 01258 3798
DS38.2 .K32 1962